

بين عام مضى وعام آت

بشري يوسف

bushragjs@yahoo.com

ساكت.. اين احلامنا بالعمل بالحرية بالتقدم وهي احدي اخطر الحقائق.. تظهر اليوم كوثيقة اتهام.. شهادة تقصير بحق النساء انها حكم مبرم للتاريخ فالارض متخمة بالامها والنساء فيها يتقهقرن الى الوراء.

بين عام مضى وعام ات حلم كان ينمو في الظلمات.. ففى مثل هذه المواقف يبتكر الانسان لغة للأمل ويمنح الحزن فرصة للفرح ولكن انى ياتى الفرحة وقد انكسرت داخلها اخر ومضة أمل وتحسست مصيرا مجهولا قادمة مع ايام قادمة لا تختلف عن ايامها الماضية تحت وطأة الانتظار الجاف بتكرار يومي ممض.. عادت الى لحظتها المغتالة رأت ان عليها ان تماسك وتكف عن ملاحقة الحاضر المغترب لكن رأسها ظل مشغولا بافكار ورؤى كثيرة فعادت الى الصمت تتلمى شارعا مقفرا الا من امرأة بعباءة سوداء واصوات هي مزيج من شظايا وقنابل وتفجيرات جعلها تتجرع الايام على مضض.. دوي هائل يصفق برأسها واشتباكات غامضة.. ها قد انتهت عام كما بدا عاديا تافها داميا.. كانت قبالة نفسها تتامل شكل الرقابة والماسى المقبلة فى ثياب العام الجديد لوحة مرسومة باتقان شديد تتواءم مع كل هذا الخراب والانكسار والخوف.

يا الهى هل قطعت كل هذا الطريق لاستجير من الرمضاء بالنار.. تلحقت بعبائتها الصوف التي ادخرتها لها والذنتها بعد ان عز الوفود فى هذه الايام الباردة. واشعلت شمعتها بعد ان سكت الكهرياء عن الكلام المباح لتكتب على ورقة بيضاء سيقلتنا الوطن جميعا.. وطن اعتقدناه لنا جميعا لنكتشف اننا لانملك فيه غير التهميش.. وطن لا يمكن التعرف عليه وسط هذا الخراب.. ولكننى ارفض ان اكون فيه ضحية بائسة.

بين عام مضى وعام ات مساحة ضيقة لحلم امرأة كانت ترى فى الحرية خلاصها بعد عهود الظلم والحرمان وما وقع على كاهلها من حمل ثقيل ناءت به طويلا.. ولكن اين ما يدعونه حرية المرأة انها فى الحقيقة تركز على وهم والوهم هذا هو ان الرجل حر والمرأة مستعبدة وكلاهما فى الواقع مستعبد فما ال اليه الشارع من المم و قتل وترويع مكرسا التخلف وباقسى صورته وتغذي لدينا الاحساس بالأم والحسرة على حلم سرق منا كما سرقت اشياء كثيرة من هذا البلد.

فالبعض منا تعلم ان يجب نفسه وبأنانية متخلفة اكثر من حبه للقيم وللدين وحتى للوطن.. فاستمر انانيا يسرق ويخرب غير مبال لاية قيمة جمالية. والبعض الاخر اخذ يشعل حقول الناس بالفوضى والرداءة والفرع.

بين عام مضى وعام ات.. والمرأة تنتظر ان يلد الليل فى عينها فجرا جديدا بعد ان احتوى الشفق حلمها الكبير وتهد لتنهذاتها وامطر حزنا كلما اصطدم بعينيها المتاملتين.. هل سيولد ذلك الفجر المرتقب ام سيهزم كما هزم سابقه. وهل ستفتح عينها يوما على حلم جديد برغبة مدهشة على الحياة.. ترتشف قهوة الصباح على انغام موسيقى صادرة من جهاز فيه كهرياء بينما الجريدة امامها.

ولكن.. الفراغ ظل يحيطها من كل الجوانب.. هل ياترى كل شىء صار من الماضي، هل عاد العالم يمارس هوايته فى النسيان، ام انها محاولات لصم الاذان عما حصل ويحصل فى العراق، فها هي اتفاقية حقوق الانسان وحقوق المرأة فى الدستور تصرخ تتالم تموت فى العراق.. تحقق اكاذيب ردها البعض وصم اذانه عنها الكثير! لا احد يعي مايجرى هنا القليل يتكلم والكل